جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
The Islamic University
of Al Saied Mohamed Bin Ali Al sanussi

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

مركز السيد أحمد الشريف للدراسات والبحوث العلمية

المؤتمر العلمي الأول
واقع المصالحة الوطنية في ليبيا
المعوقات و الحلول

المؤتمر العلمي الأول

واقع المصالحة الوطنية في ليبيا

المعوقات والحلول

ضمن المحور الأول:

(الشريعة الإسلامية سبيل للمصالحة الوطنية)

بحث بعنوان

(أخلاق المتصالحين واثارها على المصالحة في ضوء السنة النبوية)

الباحث : أ. حسن عبدالسلام الحاج حسن كرمي

مكان العمل: : الجامعة الأسمرية الإسلامية

الدرجة العلمية : محاضر مساعد.

التخصص العام : الحديث النبوي وعلومه

0919556146 krmy90719@jmail.com

1444هـ - 2023 م

ملخص:

الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلام على المصطفى ، وآله وصحبه ومن اقتفى ،أما بعد ، فلضرورة الأخلاق عند الإصلاح جاء هذا البحث تحت مسمى : (أخلاق المتصالحين وأثارها على المصالحة في ضوء السنة النبوية) ليبين هذه الحاجة ، فبعد تعريف الأخلاق والإصلاح وضبط معناهما لغة واصطلاحا ، بينت مكانتهما في السنة النبوية ، ثم تأثير بعض الأخلاق الحسنة على مسار الإصلاح ، وأثر ترديها على العملية الإصلاحية، ثم أوردت نماذج للإصلاح في العهد النبوي ، وتأثير الأخلاق عليها ، وذيلت الدراسة ، باقتراحات هامة توجه المعاني الخلقية في مسار الإصلاح داخل المجتمع الليبي ،انطلاقا من الهدي النبوي الذي تناول معالم هذا الأمر في أكثر من مقام فإذا ما علمنا أن تحسين المستوى الأخلاقي للمتخاصمين ضرورة ، استطعنا النجاح في العملية الإصلاحية ، في أغلب الأحول ، وسنجد العكس عند إهماله.

Abstract:

Praise be to God and enough, and prayers and peace be upon the Mustafa, his family and companions and those who followed, but after, the necessity of ethics when reforming this research came under the name of (The morals of the reconciled and their effects on reconciliation in the light of the Sunnah of the Prophet) to show this need, after defining ethics and reform and adjusting their meaning in language and terminology, I showed their status in the Sunnah of the Prophet, then the impact of some good morals on the path of reform, and the impact of their deterioration on the reform process. Then I mentioned models of reform in the Prophet's era, and the impact of ethics on them, and appended the study, with important suggestions that direct the moral meanings in the path of reform within Libyan society, based on the Prophet's guidance, which dealt with the features of this matter in more than one place. If we know that improving the moral level of the litigants is a necessity, we can succeed in the reform process, in most cases, and we will find the opposite when neglected.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا (محمد وعلى آله وصحبه أجمعين) ، وبعد...

فإن من أفضل الأعمال وأعلاها منزلة في شريعتنا الإسلامية إصلاح ذات البين، ولمشقة العملية الإصلاحية وصعوبتها فإنها تحتاج إلى أدوات واليات وخطوات ، وعوامل ، حتى تكون ناجحة، ومبنية على أركان متينة يصعب زوالها ، بل ربما تكون مرجعا لمصالحات أخرى.

ولكن الواقع الذي نعيشه، يفرض علينا تحديات جعلت من عملية التصالح أمرا صعبا أو متعسرا أو يعقبه الفشل المباشر المستمر ، لأسباب وعوامل عدة، ومن أبرز هذه التحديات غياب العامل الأخلاقي بين المتصالحين.

وفي هذه الدراسة تناولت هذا العامل من منظار نبوي تحت عنوان:

(أخلاق المتصالحين وآثارها على المصالحة في ضوء السنة النبوية)

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تعالج قضية المستوى الأخلاقي للمتخاصمين عند عملية الإصلاح ، وتوجيهه إلى المسار الصحيح من خلال المنظار النبوي ، وإنزال هذه التوجيهات النبوية الرفيعة وتطبيقاتها العملية على الواقع الليبي، وكذلك علاج بعض الظواهر السلبية الاخلاقية أثناء عملية الإصلاح من خلال تلك التوجيهات.

ويهدف هذا البحث إلى تنبيه المتصالحين، والقائمين على العملية الإصلاحية على وجه الخصوص ، إلى أهمية المحافظة على الأخلاق في المصالحات ، واتخاذ المنهج النبوي سبيلا للحفاظ على هذه الاخلاق ، لأنه يمثل الجانب التطبيقي للتشريعات الإسلامية وآدابها.

كما يجيب هذه البحث في طياته عن تساؤلات عدة من أبرزها ، ما هو المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإصلاح والأخلاق؟ وما فضل الأخلاق ومكانتها في السنة النبوية ؟ وهل هناك أخلاق حسنة ينبغي أن يتحلى بها المتخاصم عند الصلح؟ وماهي الأخلاق السيئة التي ينبغي له ان يجتنبها؟ وهل هناك علاقة بين الأخلاق والإصلاح أو لا؟ وما هي الكيفية المثلى لإنزال الأخلاق الحسنة على المصالحات داخل المجتمع الليبي؟ وهل يمكن تطبيقها فيه من خلال المنهج النبوي ام لا؟

وقد قسمت هذه الدراسة على النحو التالي: المبحث الاول: مفهوم مصطلحي الإصلاح والأخلاق، ومكانتهما في السنة النبوية ، المبحث الثاني: أخلاق المتصالحين من خلال الهدي النبوي، المبحث الثالث: أثر الأخلاق على المصالحة ، ونماذج عليها (من خلال السنة النبوية) المبحث الرابع: اقتراحات على الواقع الليبي في مسألة أخلاق التصالح ، الخاتمة ، فهرس المصادر والمراجع.

ومن خلال البحث فيما وقع بين يدي من مصادر لم أقف على دراسة خاصة بهذا العنوان إلا بعض المباحث في مصنفات تناولته بشيء من العموم ومن ابرزها: كتاب (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) ، " لابن حزم الاندلسي " ، وكتاب (المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها) ، "لأبي بكر الخرائطي"، وكتاب (تهذيب الأخلاق) "لابن مسكويه"، –رحمهم الله جميعا–،وغيرها

وأتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي والمنهج الاستدلالي لطبيعة هذه الدراسة وحاجتها لهما.

واخيرا أسأل الله الإعانة و الإخلاص في القول والعمل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم على سيدنا (محمد وعلى آله وصحبه أجمعين) والحمد لله رب العالمين

المبحث الاول: مفهوم مصطلحي الأخلاق والإصلاح ومكانتهما في السنة النبوية

في البداية ، وقبل الدخول في مناقشات هذا البحث لابد من التعريج على توضيح مصطلحين هامين فيه وهما ، مصطلح (الأخلاق) ومصطلح (الإصلاح) عند علماء اللغة وعلماء الشريعة وذلك لفهم المراد منهما عند تداولهما في البحث ، لضبط حروفهما ، ولتكون دلالة المعنى منهما واضحة ، وكذلك تصحيحا للمعنى الشرعي الذي يختلط عند الكثيرين مع أعراف الناس وعاداتهم.

أولا – مصطلح الأخلاق

الأخلاق عند علماء اللغة هي جمع لكلمة خلق و (الخلق بضمتين السجية)[1] وقيل الخلق مَا خُلِقَ عليهِ من الطَّبْع[2] وقيل الخلق هو صورة الإنسان الباطنة وهي نفْسه وأَوصافها ومعانيها المختصةُ بِها[3]

والجمع بين هذه المعاني بقولنا أن الخلق هو سجية الإنسان وطبعه وأوصافه السلوكية

أما في الاصطلاح فيقول "ابن مسكويه" : (الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ولا روية)[4]

(وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب ... ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا.)[5]وهذا التقسيم من حيث ماهية الخلق وذاته

أما من ناحية صورته حسنا وقبحا فهو على حسب هيئته التي يظهر بها (فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً)[6]

ثانيا – مصطلح الإصلاح

الإصلاح عند علماء اللغة مأخوذ من (الصلاح وهو ضد الفساد)[1]، و(الصُّلْح، بالضَّمّ... (السَّلْمِ) بِكَسْر السِّين الْمُهْمِلَة وَفتحهَا)[2] يقال: (أَصْلَحَ أتى بِالصَّلاحِ وهو الخير و الصواب)[3].

---

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ،أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ج1، 180.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تح ،مجموعة من المحققين ، دار الهداية، ج25،ص257.

[3] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت،ج10،ص85.

[4] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ،حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية،ط1،ص41.

[5] المصدر نفسه

[6] الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير،ص25.

أما في اصطلاح الشرع فهو: (التلفظ بين الناس في الخصومات بما يرفعها)[4] وهو عند الفقهاء: (عقد وضع لرفع المنازعة) ... والمقصود من الكلام هنا هو الصلح في المعاملات بين الناس، لا الصلح بين المسلمين والكفار، ولا الصلح بين الإمام والبغاة، ولا الصلح بين الزوجين عند الشقاق.)[5]

ومن خلال ما سبق من التعريفات نجد أن الإصلاح له أركان لتتم عملية الإصلاح وهم: المصلحون والمصلح بينهم والشيء المصطلح عليه.

فإذا افتقد ركن من أركان الاصلاح صار الأمر في باب آخر وله صور أخرى.

ومن خلال ما سبق فإننا نستنتج، أن العلاقة بين هذين المصطلحين تكاد تكون قريبة فالخلق أمر فطري اكتسابي، أما الاصلاح فهو عمل اكتسابي يسعى إليه المرء سعيا، وعلى هذا فنقطة اشتراكهما قد تكون في الاكتساب ، فالخلق يكتسب لتقويم النفس والاصلاح يكتسب لتقويم الغير وكلاهما متمم للأخر فالخلوق مصلح بطبعه والمصلح خلوق بطبعه ، وهذا ما سوف يتضح لنا من خلال هذا البحث –إن شاء الله–

ثالثا– مكانة الأخلاق في السنة النبوية

إن الكلام عن مكانة الاخلاق في سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) باب واسع وأفق متشعب ، يصعب حصره والالمام به في ورقات كهذه ، لأن منبعها هو الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) الذي عظم الله تعالى خلقه في كتابه بقوله تعالى :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[6] ووضحت أم المؤمنين –رضي الله عنها– هذه العظمة فقالت:(فإن خلق نبي الله صلى الله عليه و سلم كان

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس،ج6،ص547.

[2] المصدر نفسه.

[3] المصباح المنير، الفيومي،ص354.

[4] التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق،ط1 ، 1410،ص68

[5] الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ، دار الفكر – سوريَّة – دمشق، ج6، ص168.

[6] سورة القلم .الآية 4

القرآن)[1] ، ولأنه (صلى الله عليه وسلم) تتبع كل الاخلاق فلم يترك منها خلق حسنا إلاَ بينه وطبقه ولا خلق سيئا إلاَ حذر منه أصحابه وأمته ونهاهم عنه.

ويمكن أن نقسم تناول السنة لموضوع الأخلاق على قسمين:

القسم الأول:

من الناحية العامة وذلك بحثها على اكتساب الأخلاق الحسنة والتزام مكارمها على وجه التأكيد وبيان فضلها وثوابها في الدنيا والأخرة مع التنفير من الأخلاق السيئة والرديئة وبيان خطورتها وضررها على الفرد والمجتمع المسلم. ومن أمثلة ذلك بيانه (صلى الله عليه وسلم) أن رسالته هي إتمام لمكارم الأخلاق فقد جاء عن الإمام "مَالِك" أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ)[2]

وكان من أوامره (صلى الله عليه وسلم) الحث على مكارم الأخلاق فقد بعث "أبو ذر الغفاري" (رضي الله عنه) أخاه إلى مكة ليستطلع خبر مبعثه (صلى الله عليه وسلم) فكان جواب أخيه : (رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ما هو بالشعر...) [3]

وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم): (... وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ....)[4]

ومن عظيم أجر الخلق الحسن ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا،).[1]

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تح : محمد فؤاد عبد الباقي،ج11،ص512.

[2] أخرجه الإمام مالك في موطئه، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم 1609 ،الموطأ ، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي – مصر،تح : محمد فؤاد عبد الباقي،ج2،ص904.

[33] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، رقم (2474) ج4،ص1923.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه،(771) ،ج1،ص534.

القسم الثاني :

من الناحية الخاصة وذلك بتناول كل خلق على حده، فنجده صلى الله عليه وسلم خص أخلاقا حسنة بعينها وأثنى على المتخلقين بها وحذر من أخلاق سيئة بعينها وتوعد المتخلقين بها. ولا نجد توجيها لهذا التخصيص النبوي لتلك الأخلاق الحسنة إلا مسيس الحاجة إليها ورفعة مكانتها ، ولا تخصيصا لتلك الأخلاق السيئة إلا خطورتها وعظم مصيبتها .

ومن أمثلة التخصيص النبوي للأخلاق الحسنة والترغيب فيها:

1- خلق الحياء فعن "عمران بن حصين" (رضي الله عنه) قال : قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (الحياء لا يأتي إلا بخير)[2]

2- خلق الرفق فعن "عائشة" (رضي الله عنها) قالت : ... قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)[3]

3- خلق التواضع فعن "أبي هريرة" (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[4]

ومن أمثلة الأخلاق السيئة التي حذر منه (صلى الله عليه وسلم) الثرثرة والتشدق بالكلام والتفيهق أي التكبر ، وفيها يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (... وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ)[5]

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه عَنْ جَابِرٍ –رضي الله عنه– ،كتاب أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلاَقِ،(2018) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى ، الترمذي، ،تح، بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998 م،ج3،ص438.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحيا،،رقم (5766)، الجامع الصحيح المختصر ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط3 ، 1987 ، تح، مصطفى ديب البغا ، ج5،ص2257.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب إذا عرض الذمي بسب النبي صلى الله عليه و سلم ولم يصرح نحو قوله السام عليكم، (6528)،ج6، ص2539.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع،(2588)،ج4،ص2001

[5] سبق تخريجه

فمن هاتين الناحيتين يمكن ايجاز المنهج النبوي في الارشاد إلى الأخلاق والحديث عنها ، شاملة موضوعها ومضمونه وصورها في كل وقفة من ناحيتي العموم والخصوص، غير أننا لا نستغني عن التطبيق النبوي لهذه الأخلاق وتأثر كل من عاشر النبي (صلى الله عليه وسلم) سواء آمن برسالته أو لم يؤمن.

رابعا – مكانة الإصلاح في السنة النبوية

أما عن الإصلاح بين المتخاصمين فإننا نجد في المدرسة النبوية حثا دائما على الإصلاح والأمر به ، وتطبيقا مستمرا له ، امتثالا لأمر الله في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)[1] حيث أن الخطاب الذي جاء في هذه الآية الكريمة كان أمرا بالوجوب[2] وهذا ما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم)، فبعد وقوع نزاع بين الأنصار أدى إلى اقتتالهم بالأيدي وبالنعال ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم وتلاها عليهم [3] هذا من الجانب التطبيقي.

أما من جانب الحث على الإصلاح والأمر به ، وعلو شأن فاعله وأجره العظيم عند الله جل وعلا. فيقول (صلوات الله وسلامه عليه): «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»[4]

وعن "أَبي أَيُّوبَ" –رضي الله عنه– قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا، وتَفَاسَدُوا» [5]

---

[1] سورة الحجرات ، الآية 10.

[2] ينظر – تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس ،تح: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،2002.، ج1، 704.

[3] ينظر – لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ج1، ص101.

[4] أخرجه أبوداود في سننه عن أبي الدرداء، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ،(4919)، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السَّجِسْتاني ،،تح، محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،ج4،ص280.

[5] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير،(3922) سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم الطبراني ،تح، حمدي بن عبد المجيد السلفي،مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط2،ج1،ص138.

ومن خلال ما سبق نجد أن للإصلاح بين المتخاصمين مكانة خاصة في السنة النبوية قولا وتطبيقا، فهو صمام أمان المجتمع المسلم ، وطوق نجاته عند النزاعات، دأب عليه النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم– والصحابة والصالحون من بعده

ولا نغفل عن أفعال العرب قبل الإسلام وكيف كان تاريخهم حافل بالمصالحة ،ثم جاء الإسلام فأقرهم على ذلك وحثهم عليه بل، وألزمهم به في مواضع ، ورفع الحرج عنهم في مواضع أخرى كانوا قد قيدوا أنفسهم بها.

المبحث الثاني: أخلاق المتصالحين من خلال الهدي النبوي

إن أمر الصلح عظيم ، ومسلكه صعب على النفوس، لما يحمله من مخالفة للأهواء والتنازل عن المصالح وكبرياء النفس، ومهما بلغ الإنسان من فطرة خلقية حسنة أو اكتساب للأخلاق الفاضلة يظل عند الخصومة لحوح مجادل لإثبات ما يراه حقا، وهنا تثور ثائرة النفس وتنفتح مداخل الشيطان ، ولا يضبط الإنسان جوارحه ولا حركاته وسكناته، فإذا ما عرض عليه التصالح بدأت نفسه تهدأ وعينه تقر، وإن تظاهر بعكس ذلك.

وقد جاء الهدي النبوي ضابطا لهذا الأمر، حاثا على الأخلاق الفاضلة حتى في حال الخصومة، وحتى لا تخرج الأمور عن نصابها، وحذر من ترك الأخلاق عند الخصومة ، فعن "عبد الله بن عمرو" (رضي الله عنهما) : عن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال (أربع من كن فيه كان منافقا أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)[1]

فالشاهد في هذا الحديث قوله: (وإذا خاصم فجر) ومعناه أنه (مَال فِي الْخُصُومَة عَن الْحق واقتحم الْبَاطِل)[2] والميل في الخصومة واقتحام الباطل لا يتأتى مع وجود الأخلاق التي يتخلى عنها أهل النفاق في خصوماتهم

ومن خلال تتبع المنهج النبوي ، نجد دعوة صريحة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة في حال الخصومة ليكون الصلح مثمرا وإلا لن يؤتي أكله.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر،(2327)، ج2،ص868.

[2] التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ،مكتبة الإمام الشافعي – الرياض،ط3، 1988م،ج1، ص137.

ومن هذه الأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها المتصالح أو المقدم على الصلح ما يلي:

أولا –الصدق:

فالتخلق بالصدق يزيد الثقة بين المتصالحين ، ويظهر حسن الظن فيما بينهم ، وبدونه لن يصل المصلحون إلى نتيجة ترضي الجميع أو الأغلب منهم على الأقل، وبدون الصدق أيضا لن يتبين المصلحون حقيقة الأمر، وموضع النزاع فعن "أم سلمة" رضي الله عنها : أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار)[1] (بِحَيْثُ يظنّ أَن الْحق مَعَه وَهُوَ كَاذِب ...وَالْوَاقِع أَن الْحق لخصمه لكنه لم يقدر على الْبُرْهَان)[2]

هذا في باب القضاء، فما بالك في باب الصلح الذي لا يلزم الخصوم فيه بشيء سوى ما أوكل إلى عهدهم وذمتهم وصدقهم وإيمانهم.

ثانيا– الصبر:

وهذا الخلق من لوزام الصلح وأساسياته، ومبدؤه أن يصبر المتصالح على نفسه التي تأمره بالسوء في كل لحظة ، فلا يطاوعها إلا في حال أمرها بما تأمر به الشريعة ، ويعصيها في حال انفعالها واتباعها هواها، وهذا أمر رباني يقول الله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ)[3]

من الصبر في التصالح، الصبر على هفوات الخصم، وانزلاقاته، في حال عضبه وحدة كلامه ، أو عند طلبه أمورا لم تكن في حسبانه، فكل هذا يحتاج إلى صبر عظيم ، قال "ابْن عَبَّاس" (رَضِي الله عَنْهُمَا) :(أَمر الله الْمُؤمنِينَ بِالصبرِ عِنْد الْغَضَب والحلم عِنْد الْجَهْل ...فَإِذا فعلوا ذَلِك عصمهم الله من الشَّيْطَان وخضع لَهُم عدوهم)[4]

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، رقم (6748)،ج6، ص2622.

[2] التيسير بشرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي،ج1 ص359.

[3] سورة الكهف الآية (28).

[4] الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر – بيروت، ج7،ص327.

أما منتهى الصبر فهو الصبر على ما يؤول إليه الصلح من نتائج، وخصوصا إذا لم تتبين الحكمة من النتيجة التي توصل إليها المصلحون في أول الأمر لأحد الأطراف ، وهنا يلزمه الصبر والتاني وعدم الاستعجال فقد يكون باطن الأمر عكس ظاهره.

ولا أدل على هذا الأمر من صلح الحديبية في عهده (صلى الله عليه وسلم) الذي كانت ظاهر شروطه إجحاف في حق المسلمين ولكنه كان في باطنه نصرا مؤزرا وفتح قريب .

ثالثا–الرفق :

وهو (حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل)[1] وهو أيضا ضد العنف ويعد الرفق من آكد الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المتصالحون فيرفق بعضهم ببعض ولا يخلطوا أمر النزاع بأمور أخرى فيصبحون متنازعين في كل شيء وعلى كل شيء، والرفق عند التصالح أفضل مفتاح للعفو والصفح ، ومغفرة الزلات بين المتصالحين.

وقد حدثت خصومة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم بين "ربيعة بن كعب" الأسلمي" و "أبي بكر الصديق" (رضي الله عنهما) على نخلة بين حائطيهما فَلَمَّا أَنْ ذَهَبَ غَضَبُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: رُدَّ عَلَيَّ يَا رَبِيعَةُ فَقَالَ: لَا أَرُدُّ عَلَيْكَ، فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ (صلّى الله عليه وسلم) وَبَدَرَهُ رَبِيعَةُ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ قَالَ: (وَمَا ذَاكَ) ، فَأَنْبَأَهُ بِالْقَصَّةِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صلّى الله عليه وسلم): (أَجَلْ فَلَا تُرَدَّ عَلَيْهِ)[2] فأمره صلى الله عليه وسلم لربيعة بعدم الرد على أبي بكر –رضي الله عنه – كان رفقا به وتأدبا معه وبقية القصة تذل على ذلك

رابعا– الحلم :

الحلم هو (ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب)[3] وهذا خلق قلما يكون سجية في البشر وإن وجد فهو نادر وفي أعيان من الناس دون غيرهم ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ،مكتبة عالم الكتب ، القاهرة،ط1990،1م،ص179.

[22] ينظر– الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع (ابن سعد) ،تح، إحسان عباس، دار صادر – بيروت،ط1، 1968 م،ج4،ص313.

[3] التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ،ص146.

عليه وسلم "للأشج": (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة)[1] قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِيمًا كَانَ فِيَّ أَوْ حَدِيثًا؟ قَالَ: قَدِيمًا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلَّتَيْنِ مِمَّا يُحِبُّهُمَا اللَّهُ)[2]

قال "الزرقاني" رحمه الله: (فَتَرْدِيدُ السُّؤَالِ وَتَقْرِيرُهُ بِقَوْلِهِ قَدِيمًا يُشْعِرُ بِأَنَّ فِي الْخُلُقِ مَا هُوَ جِبِلِّيٌّ وَمَا هُوَ مُكْتَسَبٌ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ وَهُوَ جَمْعٌ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ لَا ثَالِثَ).[3]

ووجود هذه الصفة في أحد المتصالحين فقط كفيلة بنجاح الإصلاح، وإن كان لا ينجر إلى الخصومة إلا نادرا.

ولكن على المصلحين أن يذكروا المتصالحين بخلق الحلم في كل مجلس من مجالس الصلح وأنها من صفات المرسلين والصالحين، وأنها من وسائل إيجاد الحل بينهم إذا التزموا بها.

ولعلنا نكتفي بهذه الأخلاق الأربعة ، ليتسلح بها المتصالح في صلحه، ويدفع بها هياج نفسه إذا أرادت الطغيان ، وأذى خصومه إذا بغوا عليه.

ومن خلال الملاحظة والتجربة فإن وجود هذه الأخلاق في مجالس صلح كبيرة أو صغيرة ساهمت في الإصلاح ، وقلبت العداوة إلى محبة ، والفشل إلى نجاح، بل ناصر بعضهم بعضا فيما بعد ، والشواهد على هذا الأمر كثيرة ، ولا تحصر.

المبحث الثالث: أثر الأخلاق على المصالحة ، ونماذج عليها (من خلال السنة النبوية)

أ- أثر الأخلاق على المصالحة:

من خلال ما سبق نجد أن هناك علاقة وطيدة بين وجود الأخلاق ونجاح عملية الإصلاح بين المتخاصمين، فكلما حسنت أو تحسنت أخلاق المصلحين والمتصالحين، كانت عملية الإصلاح

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالأيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه و سلم وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، (25)،ج1، صص40.

[2] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، كتاب حسن الخلق،(8053)، شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبو بكر البيهقي ،تح، عبد العلي عبد الحميد حامد، تح، مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 2003 م، ج11، ص5.

[3] شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تح،طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط1 2003م،ج4،ص395.

ناجحة ، وأما إذا تردت أخلاق المتخاصمين، فإن عملية الإصلاح تكون صعبة أو شبه مستحيلة، وهذه نتيجة بدهية للمقدمات الموجودة.

ولكن توافر بعض العوامل هي التي تساعد في المحافظة على أخلاق الخصوم، وعدم انهيارها ومن هذه العوامل ؛ السرعة إلى الإصلاح بعد وقوع الخصومة مباشرة ، وعدم ترك سوء الخلق يفشو يبن المتخاصمين، فيكثر السباب والشتم و التفاحش وكثرة القيل والقال ، فقد روى "سهل بن سعد" (رضي الله عنه) ، أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله (صلى الله عليه و سلم) بذلك فقال: (اذهبوا بنا نصلح بينهم)[1]

فقد تدارك النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء في نزاعهم وأصلح بينهم في أول الأمر قبل أن يستفحل ويشتد ، وقد كانوا أهل خير وصلاح ، قال الحافظ "العيني"–رحمه الله– عند ذكر ما يستفاد من هذا الحديث: (وَفِيه خُرُوج الإِمَام مَعَ أَصْحَابه للإِصلاح بَين النَّاس عِنْد تفاقم أُمُورهم وَشدَّة تنازعهم)[2].

ومن العوامل التي تحافظ على أخلاق المتصالحين، اختيار أهل الأخلاق والفضل للإصلاح والاشهاد على الصلح ومجالسه ، فعند حضورهم تغفر الزلات ، وتمحى العثرات ، وتبذل المكارم.

ولقد شهد التاريخ الإسلامي حادثة عظيمة ، وصلحا مباركا ، حقنت على إثره دماء ، واستقرت على بعده دولة الإسلام ، والذي كان السبب فيه سبط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو "الحسن بن علي بن أبي طالب" (رضي الله عنه)، فحين أتاه وفد الصلح من "معاوية بن أبي سفيان" قالوا له: (فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك ، قال : فمن لي بهذا ؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به فصالحه ، فقال الحسن ولقد سمعت أبا بكرة يقول رأيت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) على المنبر و"الحسن بن علي" إلى جنبه وهو يقبل

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بنانصلح،(2547)،ج2ص958.

[2] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ، بدر الدين العينى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج13،صص270.

على الناس مرة وعليه أخرى ويقول:(إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[1] .

ومن العوامل التي تعين على المحافظة على أخلاق المتصالحين ، قول الكلام الطيب والثناء ، بما كان فيهم من أوصاف أو بما زيد عليه من عند المصلحين ، حتى تتحسن أخلاقهم ، ويرتفع مستوى التعامل بينهم، فتؤتي عملية الإصلاح ثمارها.

فعَنْ "أمِّ كُلْثُوم بنْتِ عُقْبَةَ" (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (لَيْس الكَذابُ الذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاس فَيَنْمِي خَيراً، أوْ يَقُولَ خَيْراً)[2]

وشاهدنا في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم :(فَيَنْمِي خَيراً، أوْ يَقُولَ خَيْراً) ومعناه: (أن ينقل كلام الخير، ويروي لأحدهما أن صاحبه أثنى عليه ومدحه، وذكره بالأوصاف الجميلة...)[3]

وعموما فإن عملية الإصلاح قد تمر بمراحل وجولات، ينجح المصلحون في بعضها وقد لا يستطيعون إتمامها ، ولكن الذي ينبغي أن ينبه عليه المصلحون، أن يحثوا المتخاصمين على المحافظة على أخلاقهم، وضبط تصرفاتهم لقوة تأثيرها في فتح باب الصلح، وإن كان مغلقا.

إن الأخلاق الحسنة توفر الجو الملائم للتصالح ، وتؤثر على المتخاصمين إيجابيا بل وتزيد من فرص تصالحهم، فتشعر الجميع بروح الأخوة والاتفاق، وتزول الكراهية بينهم.

ب- نماذج عملية من السنة النبوية في تأثير الأخلاق على المصالحة

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الصلح ،باب قول النبي صلى الله عليه و سلم للحسن بن علي رضي الله عنهما،(2557)،ج2،ص962.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس،(2546) ، ج2،ص958.

[3] منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه، الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، صححه، بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف – السعودية، 1990 م، ج4، ص52.

حدثت في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) خصومات متعددة وعلى مستويات مختلفة كان الإصلاح فيها سيد الموقف بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره لصحبه الكرام بترك أخلاق الجاهلية السيئة ، التي لا تجعل للصلح مكانا ولا للعقل حكمة و لا تدبيرا.

ولقد حكى التاريخ تأثير فقد الصلح في (يثرب) بحرب دارت رحاها بين قبيلتي الأوس والخزرج لمدة مائة وعشرين عاما وبتحريض مستمر من اليهود كانت نتائجها وخيمة على القبيلتين ، فكَانَ يَوْمُ الْبُعَاثِ آخِرَ الْحُرُوبِ الْمَشْهُورَةِ بَيْنَهم، ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ فحسنت الأخلاق ، وذهبت الاحقاد، وَاتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى نَصْرِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ[1].

أما في عهده (صلى الله عليه وسلم) فلم يخلو الأمر من تذكر بعض ما فات من هذه النزعات ، وهذا من المسلمات مع طائفتين لا يعجبها هذا الاستقرار والأمان وهما المنافقون واليهود.

يقول "ابن هشام" في سيرته : (ومر شأس بن قيس وكان شيخا قد عسا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الأوس و الخرزج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بن قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من يهود كان معهم فقال اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه الأشعار ، يوم بعاث وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ... ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين ... ثم قال أحدهما لصاحبه إن شئتم رددناها الآن جذعة فغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة السلاح السلاح فخرجوا إليها.

فبلغ لك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلي وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به من قلوبكم فعرف

[1] ينظر الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير الجزري، ،تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان،ط1، 1997م،ج1،ص602.

أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سامعين مطيعين[1]

فنجد أن النزاع قد وقع بين الأنصار رضي الله عنهم بسبب سعي يهودي حسود –ذا خلق سيء = بينهم فتذكروا موتاهم في الجاهلية ، واستشاط غضبهم، وحملوا السلاح على بعضهم للقتال ، فلما جاء خير المصلحين صلى الله عليه وسلم، ذكرهم بماهم عليه من الإيمان وحسن المعشر والخلق ، تصالحوا، وندموا على ما فعلوا.

أما الواقعة الثانية فكانت بين المهاجرين والأنصار– رضي الله عنهم– يقول "جابر بن عبد الله" (رضي الله عنهما) يقول : كنا في غزاة فكسع[2] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمعها الله رسوله صلى الله عليه و سلم قال (ما هذا؟) . فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال النبي صلى الله عليه و سلم (دعوها فإنها منتنة)[3]

وسبب هذه الخصومة هو حوض شربت منه ناقة سنان بن وبرة الجهني حليف عبدالله بن أُبيّ ابن سلول فاستنصر بالأنصار ، فلما سمع النبي لى الله عليه وسلم هذه الدعوة وصفها بأنها خبيثة قبيحة[4] وأمر بتركها والتصالح فيما بينهم.

وعلى قلة تلك الحوادث في زمنه صلى الله عليه وسلم وندرتها ، إلا أنها تعطينا مؤشرا على ضرورة وقوعها في كل مجتمع وبيئة إذا توافرت دوافعها. ومن أبرز تلك الدوافع ضعف الدين وغياب الأخلاق.

وفي الوقت ذاته فإن حل تلك الخصومات ذهبت ، بعد تخلق المتصالحين بالأخلاق الفاضلة امتثالا لأمره صلى الله عليه وسلم كما مر معنا في الأمثلة السابقة

---

[1] ينظر– السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري تح، طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت 1411،هجري،ج3،ص94.

[2] أي ضَرَب دُبُرَه بيَده، النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تح، طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت ، 1979م، ،ج4،ص313.

[3] ينظر– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ، ج7، صص387.

[4]

المبحث الرابع: اقتراحات على الواقع الليبي في مسألة أخلاق التصالح

شهد الواقع الليبي في السنوات الماضية خصومات متعددة ،مختلفة الصور الأشكال ، ومتنوعة المضامين والأسباب ، فبعضها خصومات سياسة في صورة نزاع على السلطة أو منصب من المناصب السيادية، وبعضها اقتصادي في صورة نزاع على مورد من الموارد أو مصدر من مصادر الدخل القومي ، وبعضها خصومات اجتماعية وهي نزاعات بين قبائل أو مكونات معينة ، و خصومات دينية في صورة نزاع بين متعصبين إلى مذاهبهم العقدية أو الفقهية .

وكل هذه الخصومات كانت بسبب غياب أو ضعف من يرعى مصالح البلاد ممثلة في الدولة وسلطاتها المعروفة ومع هذا الكم الهائل من الخلافات والخصومات ، التي يصعب حصرها فضلا عن وصفها، يحار المصلحون من أين وبما يبدؤون؟

ومما يزيد الأمر تعقيدا أن حتى من تصدر للإصلاح يجد نفسه في بعض الأحيان خصما في مواقف أخرى.

ولا يمكن للدولة بعد أن يشتد عودها ويقوى أمرها –بإذن الله– أن تغفل عن جانب هذه الخصومات التي لم تحل، وتتركها للزمان لتندثر، كما كنا نعتقد في السابق ، فالواقع يقول ما اندثر شيء من سيئات الماضي وخصوماته ، بل وجدناه بأخلاقها السيئة بعد أن كانت دفينة، وذلك لأن نزغة الشيطان كانت لم تغب طوال السنوات الماضية ، تذكر بكل سوء وتحافظ على الموروث الخلقي السيء، وبكل أسف.

وهنا ينبغي على المسؤولين في الدولة الليبية خصوصا والمصلحين عموما، أن يقبلوا على مظالم الناس الصغيرة والكبيرة ويضعوا في حسبانهم كل الاعتبارات في كل خصومة، وتسويتها صلحا أو قضاء بعد حصر كل خصومة على حدة، ودراستها واقتراح حلولها الممكنة.

ويقدم الصلح على القضاء في كل الخصومات ويرغب إليه الناس ولو بالمال لأنه أدعى إلى المحافظة على النسيج الاجتماعي والترابط بين الأفراد يقول سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– (رُدُّوا الْخُصُومَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا؛ فَإِنَّ فَصْلَ الْقَضَاءِ يُحْدِثُ بَيْنَ الْقَوْمِ الضَّغَائِنَ)[1]

[11] السنن الكبرى أحمد بن الحسين ، أبو بكر البيهقي ،تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 2003 م،ج6،ص109

ومن خلال الواقع الليبي القريب نجد أن مصالحات عديدة[1] قد ابرمت وأخذت وقتا وجهدا طويلا من المصلحين وتم الاتفاق عليها، ولكنها انهارت أمام أول حدث بسيط

والسبب في ذلك – والله أعلم – غياب العامل الخلقي بين الأطراف المتصالحة وعدم ضبطه في كثير من الأوقات ، على الرغم من أصالة المعدن وصدق الانتماء ووجود الود سابقا بين الأطراف المتنازعة .

وهنا يأتي اقتراحنا الذي نستقيه من المنهج النبوي ، الذي لم يحافظ على كيان دولة فقط بل حافظ على المجتمع الإسلامي بأسره ، على مر الازمان.

الأمر الأول :

قبل عقد المصالحة بين أي طائفتين متنازعتين، ينبغي تهيئة الأنفس أخلاقيا من خلال اطلاق حملات التوعية الدينية والثقافية والاجتماعية، وتذكيرهم بمحاسن الأخلاق وفوائدها على النفس والمجتمع وعلى المصالحات خصوصا، ومضار النزاعات والخلافات بينهم.

الأمر الثاني :

دعوة أهل الأخلاق والصلاح ، المجربين في المواقف والأزمات، وإقحامهم في المصالحات ، دون النظر إلى السن أو المركز الاجتماعي ، ودعمهم في نشرهم لمحاسن الأخلاق داخل مجالس الصلح، والتركيز على من ساءت أخلاقهم وطباعهم وإبعادهم عن ساحة المصالحات والزامهم بمخرجاتها فقط.

الأمر الثالث:

ينبغي عند عقد المصالحات ، أو جولات الصلح ، اعتماد منظمين سلوكيين لضبط سلوكيات وأخلاقيات الخصوم، وتقديم الدعم والمساندة لهم ،عند خروجهم عن سياق المصالحة، وخصوصا في المصالحات الكبرى.

الأمر الرابع :

[1] ينظر – مجلة المفكرة ، مقال بعنوان (المصالحات المحلية في ليبيا – تقييم عام) للكاتبة أمال سليمان العبيدي ، 17، 4، 2019م، شبكة المعلومات الدولية https legal-agenda.cc

ايجاد السبل الناجحة لنشر ثقافة الأخلاق الحسنة في المجتمع الليبي بين الفئات العمرية المختلفة، وبشكل تدريجي ، مع التركيز على الأخلاق التي تعين على الإصلاح، ودعم وسائل الإعلام المتنوعة لهذا الاتجاه.

الأمر الخامس:

حث جميع المسؤولين والقياديين على اختلاف مستوياتهم على اتخاذ الصلح سبيلا لحل اشكالاتهم ونزاعاتهم الشخصية داخل مؤسساتهم بشرط ألا تمس مصالح المواطن والبلد، التخلق بأخلاق الصلح لضمان نجاح أداء مؤسساتهم على الوجه الأمثل ، و تعميم هذا الأمر من الجهات العليا في الدولة إن أمكن ذلك.

الأمر السادس:

متابعة المصالحات بعد عقدها ، ودعم المتصالحين باحتياجاتهم وتلبية مطالبهم وخصوصا تلك التي كانت سببا في نزاعهم حتى لا يعودوا إلى الخصومات مجددا.

وعموما؛ فإن ارشاد المجتمع الليبي إلى الهدي النبوي في الالتزام بأخلاق الصلح يحتاج إلى استثمار أمثل حتى تنقضي جميع الخصومات ، وذلك بوضع الأليات وبرامج كفيلة بتدريب المصلحين على توطئتها داخل المجتمع ونشرها فيه.

ولا سبيل أمام المتصالحين إذا أرادوا إتمام صلحهم والقضاء على خصوماتهم إلا بتحسين أخلاقهم، وسبيلهم إلى ذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الكائنات، وبعد ،

ختاما لهذه المسيرة عن تأثير أخلاق المتصالحين على المصالحة في ضوء السنة النبوية فقد توصل الباحث إلى النتائج التالية :

1. إن العلاقة بين الأخلاق والإصلاح علاقة وطيدة ، فلا يمكن تصور إتمام عملية الإصلاح من دون وجود أخلاق حسنة عند المتخاصمين تؤثر الأخلاق في العملية الإصلاحية بالإيجاب إذا كانت فاضلة ، وبالسلب إذا كانت سيئة.
2. أثرت الأخلاق النبوية الفاضلة على الصحابة–رضي الله عنهم–، فكانت المنقذ لهم عند وقوع الخصومات فيما بينهم.
3. يحتاج الواقع الليبي إلى نشر ثقافة الأخلاق الحسنة، عند إبرام المصالحات العامة والخاصة، لضمان نجاح تلك المصالحات استنادا إلى الهدي النبوي.

ويوصي الباحث بالتالي:

- التركيز على إصلاح الأخلاق في المجتمع عموما وعند عقد المصالحات خصوصا.

تعريف المصلحين والناس عموما بأهمية ارتفاع المستوى الخلقي للخصوم عند الجلوس إلى جولات الصلح.

- توجيه وسائل الإعلام إلى مبدأ المحافظة على الأخلاق الفاضلة ، حتى عند وجود الخصومات ، للمساهمة في الحد منها، وايقافها ، على عكس ما نراه الآن.

تربية الناشئة على مبدأ الإصلاح ، وارشادهم إلى أهم مبادئه وهو التحلي بالأخلاق الفاضلة.

- لابد من تطبيق التوجيهات النبوية في تهذيب الأخلاق وتربية النفوس،تى نرى نتائج طيبة للمصالحات في وطننا الغالي ليبيا.

وعموما ؛ فإن المجال لايزال مفتوحا للسادة الباحثين في مجال العلوم الشرعية لتناول هذا الباب بمزيد من التفصيل والإحاطة.

وفق الله الجميع ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم برواية الإمام حفص عن عاصم الكوفي.

1-الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير.

2-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ.

3-تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، تحقيق ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية.

4-تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس ،تح: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،2002.

5-تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ،حققه وشرح غريبه ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية.

6-التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق،ط1.

7-التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ،مكتبة الإمام الشافعي – الرياض،ط3، 1988م.

8-الجامع الصحيح المختصر ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق، مصطفى ديب البغا .دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط3 ، 1987 ،

9-الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر – بيروت، التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ،مكتبة عالم الكتب ، القاهرة،ط1990،1م.

10-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السَّجِسْتاني ،،تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

11-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى ، الترمذي، ،تحقيق ،بشار عواد معروف،

دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998 م

12–السنن الكبرى أحمد بن الحسين ، أبو بكر البيهقي ،تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 2003 م.

13–السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري تح، طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ، بيروت 1411،هجري.

14–شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تح، طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، ط1 2003م.

15–شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبو بكر البيهقي ،تحقيق، عبد العلي عبد الحميد حامد، تح، مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 2003 م.

16–صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

17–الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع (ابن سعد) ،تحقيق، إحسان عباس، دار صادر – بيروت،ط1، 1968 م.

18–عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ، بدر الدين العينى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

19–الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ ، دار الفكر – سوريَّة – دمشق.

20–الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير الجزري، ،تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان،ط1، 1997م.

21–لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،

22–لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر ، بيروت،

23–المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ،أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بدون.

24–المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم الطبراني ،تح، حمدي بن عبد المجيد السلفي،مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط2.

25–منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه، الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، صححه، بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف – السعودية، 1990 م.

26–الموطأ ، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – مصر،

27–النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تح، طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية ، بيروت ، 1979م.